سمات ودلالات الكرم في أشعار الفرزدق

إعداد: أثير عبيد عباس الجنابي
جامعة الأديان والمذاهب / كلية اللغات
والثقافات الدولية / قسم اللغة العربية

الدكتور محمد سعدي
جامعة الأديان والمذاهب / كلية اللغات
والثقافات الدولية / قسم اللغة العربية

نورالدين بروين
الاستاذ المساعد للغة العربية وآدابها
في جامعة المحلاتي للعلوم الاسلامية (الكاتب المسؤول)

البريد الإلكتروني Email : athyrbyd215@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الكرم، السمات، الدلالات، الفرزدق، الشِّعر.

كيفية اقتباس البحث

الجنابي ، أثير عبيد عباس، محمد سعدي ، نورالدين بروين، سمات ودلالات الكرم في أشعار الفرزدق، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، كانون الثاني ٢٠٢٤،المجلد:١٤ ،العدد:١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Characteristics and connotations of generosity in Al-Farazdaq's poems

Prepared by: Atheer Obaid Abbas Al-Janabi
University of Religions and Sects / College of Languages
And International Cultures/Arabic Language Department

Nour Al-Din Parwin
Assistant Professor
of Arabic Language and Literature
At Al-Mahalati University of Islamic Sciences (responsible writer)

Dr. Muhammad Saadi
University of Religions and Sects/Faculty of Languages
And International Cultures/Arabic Language Department

Keywords : Generosity, Effects, Significations, Farzadaq, The poem.

How To Cite This Article
Al-Janabi, Atheer Obaid Abbas , Nour al-Din Parwin, Muhammad Saadi , Characteristics and connotations of generosity in Al-Farazdaq's poems , Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, January 2024,Volume:14,Issue 1.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

Generosity, with its various meanings and multiple interpretations, is a desirable moral trait among the Arab people, which they always boast about in their speech and action., and it is considered the most important axis of honors and good moral virtues of a person or a nation or those praised. This good moral quality has been manifested in the poems of most of the poets of many literary periods. It should be said that this morally desirable feature has a diverse range of meanings in terms of words and meaning as well as ironic interpretation. which sometimes

appears in explaining the reasons and motivations of round-the-clock hospitality, or when the cold winter wind blows, and the lighting of the reception fire and the barking of dogs to summon guests, as well as feeding the needy. It also refers to doing good deeds such as zeal, bravery, respect for neighbor's rights, and defending one's honor. The mentioned components have been manifested in their various semantic fields in the poems of poet: Farzadaq to explain the praise and admiration of their people or to express individual characteristics. Sometimes poet use this moral component in satirizing each other. In this research, according to the main research question, how are the manifestations of generosity manifested in the songs of Farzadaq? We are looking for it to find the most important signs of generosity in the poems of poet who are famous for writing contrasts. And on the one hand, they were proud of being generous and generous to themselves and their relatives.

المستخلص

الكرمُ بتنوّع معانيه ومصاديقه المتعددة، صفة مُستحسنَة لدى العرب، فقد كانوا ولايزالون يبتباهون بها في أقوالهم وأفعالهم، وكانت الركيزةَ الأهم لِعدِّ المفاخر وبيان المناقب للفرد أو لقومه أو للممدوحين، وقد ظهر ذلك جلياً على لسان معظم الشعراء في مختلف الأدوار الأدبية. ولهذه الصفة المحبَبة حقولٌ دلاليةٌ لفظية ومعنوية متنوعة، تظهر أحياناً في بيان دواعي وحوافز الاستضافة ليلاً أو نهاراً، أو وقت هبوب الرياح الباردة شتاء، وأيضاً في حال إيقاد نار القرى، واستبناح الكلاب لاستدعاء الضيف، الكرم في نحر النوق السمان، كذلك إطعام المحتاجين، وبذل المعروف، وأحياناً تذكر للخصال الحميدة كالغيرة والشجاعة والعفو، وحماية الجار والدفاع عن العرض والشرف، وقد تمظهرت هذه الحقول الدلالية لفظا ومعنىً و كنائياً في أشعار الفرزدق وذلك لبيان محامد قومه وخصاله الفردية، وبعض الأحيان نجدها في مهاجاته لجرير وقد تماهى الشاعر بصفة الكرم والشجاعة. حاولنا من خلال هذه الدراسة عن طريق الأسلوب الوصفي و التحليلي ومن ثم التطبيقي، ونظراً للسؤال الأصلي للبحث وهو كيف تجلَّت سمات ودلالات الكرم في أشعار الفرزدق؟ أن نسلط الضوء على أهّم مظاهر الكرم في أشعار الشاعر، كذلك حاولنا كشفَ النقاب عن حضور مادة الكرم ومشتقاتها، والترادف والتعبير الكنائي لها، وأيضاً تبيين كيفية تناول الشاعر لها، ومقدار احتفائه بها كمصدر فَخرٍ واعتزازٍ. ومن أهم النتائج التي وصل إليها الباحث هي أن الكرم بمدلولاته المتعددة كان من أهم مفاخر الشاعر، وقد أخذ حيزاً واسعاً من أشعاره، حيث كان يتباهى به لنفسه ولقومه فخراً وكسباً للمحامد، وقد كان مصدرَ فخر لاعتزازه، وبعض الأحيان كان يوظفه للمهاجات في نقائضه. أيضاً ظهر من خلال البحث

أن العلاقة الدلالية بين المفردات أو العباررات في النصوص الشعرية حول الكرم لدى الشاعر كانت دلالات إيحائية مشتركة ذات مصاديق متعددة.

١ . المقدمة

لا شك أنَّ الشعرَ ديوانُ العرب وسجلٌ يحكي مآثرهم ويدوِّنُ مفاخرهم، وهو مركز المعرفة ومحيطها، يفهم كل العلوم و يخلد أفضل ما في الحياة وأجملها، والأخلاق هي الوجه الآخر لها بعد المحسوسات. فقد نرى الشعراء قد أفاضوا في مدح الفضيلة وثاروا على الأخلاق الذميمة. والكرم هو أحد الأسس الخلقية التي تمثل صورة الإنسان المثالية عند العرب، وهو أيضاً صورة من صور الخلق العربي الأصيل الذي درجوا عليه فصار طبعاً متوارثاً فيهم، وقد كان يحتل في قائمة الفضائل عندهم مكاناً يفوق مكانة لدى أمم أخرى كثيرة. وربما كان نوعاً من التعاطف مع الآخرين نتيجة للشعور بقسوة الحياة أو نوعاً من الاعتزاز والسيادة التي فطر العربي عليها؛ لذا كثرت الألفاظ التي دلت على الكرم كما كثرت الصفات التي أطلقت على الرجل الكريم المعطاء، وكانت تمثل عندهم الخير والنماء كالمطر والأرض والريح [١].

فقد وردت لفظة الكرم في الشعر العربي لتدل على الرجل الجامع لخصال كثيرة منها التنزه عن المقذورات و التبرؤ من الدنيات و شرف الأباء و حصانة الأمهات وإقامة المرؤة مع الصبر على الملمة وجاء الكرم ضد الإهانة وأما الكرم بمعنى العطاء فقد استعمله الشعراء كثيراً لما له من قيمة في مجتمعهم[٢].

وقد زاد اهتمام الشعراء فى العصر الاموي بهذا اللون من الشعر حول الكرم، فأسهبوا فى ذكر مظاهره وبيان حدود وتعريف بماهية وأهميتة وفضله وقد احتل مكانة لا يُستهان بها فى الشعر عامة. وقد استخدم هذا اللفظ بأشكال مختلفة في أشعار الفرزدق ومن الألفاظ اللامعة في هذا الحيازة الدلالية. فجائت هذه الدراسه لتسلط الضوء على أهّم مظاهر الكرم فى شعر الشاعر الفرزدق ، وتكشف النقاب عن حضوره وكيفية تناول الشاعر له ومقدار احتفائما به.

حاولنا من خلال البحث هذا، دراسة العلاقة الدلالية بين المفردات داخل المجال الدلالى الواحد، أو الموضوع الفرعي حول الكرم ومشتقاته، ومعنى الكلمة الواردة مترادفة له في المعنى حيث يعتبر ذلك من الأمور الهامة المتعلقة بعلم الدلالة؛ لأن المفردات التي تشيع في قطعة أدبية ما، تكون فيما بينها أنواعاً من العلاقات التي لا تتوقف قيمتها على وظيفة كل كلمة مفردة في جملتها وإحدى هذه العلاقات هي ما يسمى الحقول الدلالية.[٣]

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على حقل الألفاظ الدالة على الكرم لفظا و معنىً، في أشعار الشاعر خاصة بعلاقة الترادف بين الألفاظ التي تدور في هذا الحقل. فقد ووجدنا سمات

ودلالات الكرم في شعر الفرزدق لفظا ومعنىً في مجال الضيافة، وإيقاد نار القِرى ليلاً، واستنباح الكلاب لاستجلاب الضيوف، والكرم وقت هبوب الرياح المزعزعة، ونحر النوق السمان. كذلك الكرم في تقديم الطعام والعطاء، للمحتاجين وإهداء النوق الكرام، وبذل الأموال، تشبيه الكريم بالبحر ونهر الفرات، وتشبيه الكريم بالمزن والغيث، الكرم في بيان محامد الممدوح، والكرم في بيان الحسب الكريم، الكرم في بيان المجد، وحماية الجار وحفظ العهود.

١ . ١ . أسئلة البحث

كيف تجلّت سمات ودلالات الكرم في أشعار الفرزدق؟

ما أهمُّ دلالات الكرم عند الشاعر؟

ما أهمُّ مظاهرِ الكرم لدى الشاعر؟

١ . ٢ . فرضيات البحث

تجلّت سمات الكرم في أشعار الفرزدق في مجال نار القرى ليلاً لهداية الضيف والضال واستنباح الكلاب لاستدعاء الضيف، والجود والعطاء، والشجاعة، والدفاع عن الجار، والجود بالنفس، أو المال، أو الجاه، أو الحياة، وقد شكلت مظهراً جليّاً وباعثاً لتوليد صور واقعيّة مستمدة من الحياة السائدة لتصوير الكرم.

أهم دلالات الكرم لدى الشاعر هي الفخر بنفسه وبقومه وبيان المناقب لذويه والممدوحين وبيان مثالب الخصم في مجال الهجاء والتعيير.

أهم مظاهر الكرم لدى الشاعرين هو القيم الاجتماعية الدارجة آنذاك وقد تمثلت بالجود والعطاء وبذل المعروف والجمع بين الفخر والهجاء عن طريق النقائض

١ . ٣ . أهداف البحث

تبيين تجلّيات سمات ودلالات الكرم في أشعار الفرزدق.

تبيين أهمُّ دلالات الكرم عند الفرزدق.

تبيين أهمُّ مظاهرِ الكرم لدى الشاعر.

١ . ٤ . الدراسات السابقة

حول الموضوع نفسه لم نجد بحثاً يضاهي هذا البحث ولكن هنالك بعض المقالات وجدناها قريبة في المضمون وهي: مقالة بعنوان حقل الالفاظ الداله على «الكرم» فى شعر حاتم الطائى؛ دراسه دلاليه، نجفى حاجيور مهران ، ٢٠٢١م. قام الباحث بدراسة دلالية فى شعر حاتم الطّائى. بعد لمحةٍ إلى علم الدّلالة والحقول الدّلالية ونَظرة عاجلةٍ إلى حياة حاتم، درس كل الألفاظ التى تدلّ على معنى الكرَم وإنفاق المال كسباً لحمد الله والناس فى شعره. و

مقالةصورة الفخر والهجاء في شعر النقائض، (دراسة أدبية نقدية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، رشا عبيد عباس، جامعة الخرطوم، كلية الأداب قسم اللغة العربية، ٢٠٠٨م. وفيما يخص البحث الذي نحن بصدده حيث ندرس فيه الكرم ودلالتهِ وسماتهِ ودوافعهِ واشكالهِ عند الفرزدق فهذا بحث جديد غير مسبوق.

١ . ٥ . التعريف بالشاعر

أبوفراس همام بن غالب، بن صعصعة الملقب بالفرزدق، ولد بالبصرة نحو ٦٤١م / ٢٠ هـ.، من اب ذي وجاهة وكرم، ينتمي إلى مجاشع بن دارم من تميم وكان أجداده من أشرف بيوت تميم ومن ذوي المآثر الحميدة بين العرب، فنشأ الفرزدق في ذلك البيت مزهواً بأمجاده وكانت نشأته بدوية كما كانت أخلاقه بعيدة عن أخلاق أشراف العرب، فأندفع وراء الفسق والفجور، مزواجاً مطلاقاً، لا يثبت على حال»[٤].

«لقب غلب عليه وتفسيره الرغيف الضخم الذي يجففه النساء للفتوت، وشبه وجهه بذلك لأنه كان غليظاً جهماً، واسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن تميم، كان بشع المنظر، قصيراً أصلعاً، نظم في معظم فنون الشعر المعروفة في عصره وكان يكثر الفخر يليه في ذلك الهجاء ثم المديح، مدح الخلفاء الأمويين بالشام، ولكنه لم يدم عندهم لمناصرته لآل البيت. كان معاصراً للأخطل ولجرير الشاعر أيضاً، وكانت بينهما صداقة حميمة، إلا أن النقائض بينهما أوهمت البعض أن بينهم تحاسداً وكرهاً، وانشعب الناس في أمرهما شعبتين لكل شاعر منهما فريق، ولجرير في الفرزدق رثاء جميل»[٥].

"ولم ينحصر الاضطراب في حياتة الفرزدق الاجتماعية والسياسية بل نال أيضاً حياته الأدبية، إذ شبت بينه وبين جرير حرب لسانية دامت نحوا من خمسين سنة كان الباعث عليها تهاج بين جرير والبعيث المجاشعي. وقد أفحش جرير القول في نساء مجماشع فاستنهض عليه الفرزدق»[٦].

٢ . التنظير

٢ . ١ . السمة لغة واصطلاحاً

أ . السمة لغةً

السمات هي جمع سمة بمعنى العلامة أخذت من وَسَم، والوَسْمُ: أَثرُ الكَيّ، والجمع وُسُومٌ؛ أَنشد ثعلب:

«ظَلَّتْ تَلُوذُ أَمْسِ بالصَّرِيمِ وصِلِّيانٍ كسِبالِ الرُّومِ»

تَرْشَحُ إِلَّا موضِعَ الوُسُومِ.[٧]

يقول: ترشح أَبدانُها كلها إلا وقد وَسَمَه وَسْماً وسِمَةً إذا أَثَّر فيه بسِمةٍ وكيٍّ، والهاء عوض عن الواووفي الحديث: ويروى عن أنس بن مالك: «غَدَوْتُ إلى رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بعَبْدِ الله بنِ أبِي طَلْحَةَ، لِيُحَنِّكَهُ، فَوَافَيْتُهُ في يَدِهِ المِيسَمُ يَسِمُ إبِلَ الصَّدَقَةِ.أَنه كان يَسِمُ إبلَ الصدقة»[٨] جاء معنى السمة في المنجد في اللغة: وسَمَه يَسِمُهُ وسما وسَمِة، كواه أوأثّرَ بسمة أوكي، جعل له علامة يُعرف بها، اتّسم: جعل لنفسه سمة يُعرف بها، والسمة العلامة، وجمعها سمات[٩].

ب: مفهوم السمة

السمة مفهوم ذوطبيعة مجرّدة، فإنّنا لا نلاحظ السمة بطريقة مباشرة، بل نلاحظ مؤشّرات وأفعال مجرّدة أونعمّم على أساسها، فالسمة إذن مستنتجة من الملاحظات الفعلية للسلوك، أومن خلال اختبار أومقياس، فالسمة إطار مرجعي ومبدأ لتنظيم بعض جوانب السلوك والتنبّؤ به، وهي مُستنتجة ممّا نلاحظه من عمومية السلوك البشري، والسمة هنا ليست أبدا علّة السلوك، بل مجرّد مفهوم يساعدنا على وصف ذلك السلوك[١٠].

وتُعدّ السمات عند عددٍ من المنظّرين في هذا الميدان، الوحدة الأوّلية في بناء الشخصية، وهي التي تساعد على تفسير حالات الثبات التي نجدها في الشخصية الإنسانية.وبالإمكان عدّ السمات على أنّها أُسلوبية وديناميكية، ذات فعّالية أوتغيّر مستمرّ، فالسمة الأُسلوبية تخبرنا كيف يسلك الفرد، والسمة الديناميكية تخبرنا لماذا يسلك الفرد بالطريقة التي يسلك بها، فالأُولى تعطي الأُسلوب، في حينٍ أنّ الثانية تعطي العوامل الدافعة[١١].

٢ . ٢ . دلالات سمات الكرم في الشعر

نظراً للمعنى اللغوي والمفهومي لمفردت السمات، فإننا وجدنا بعض الدلات الإيجائية من هذه المفردة تطلق على الكرم بمصاديقه المتعددة في أشعار الفرزدق وجرير وذلك إما لبيان محامدهما ومحامد قومهما وإما لتقوية المهاجات بينهما. الفرزدق كغيره من الشعراء بين في قصائده انواع مظاهر الكرم إما من خلال الفخر بنفسه وبقومه وإما عن طريق بيان صفات الممدوحين وبيان مناقبهم الرفيعة، خاصة الأمراء والملوك والخلفاء في عصره، وإما عن طريق الرثاء والنقائض مع جرير.

فقد تجلّت سمات الكرم في أشعاره في إكرام الضيف، والشغف بهذه القيمة الاجتماعية والاخلاقية، ويظهر ذلك عادة في إشعال نار القرى ليلاً، واستنباح الكلاب لاستدعاء الضيوف، ومن خلالها نحر النوق السمان والثمينة وتقديم الطعام على الوجه الحسن مع طبيب الخاطر، كذلك إطعام المحتاجين. كذلك ظهرت إمارات الكرم لدى الشاعر في العطاء والجود، منها إهداء النوق الكرام، وبذل الأموال للدفاع عن الشرف والعرض.

وقد جاءت هذه الدلالات في بيان مناقب الممدوحين من الخلفاء والأمراء المعاصرين للشاعر، وقد جاء تشبيه كرم الممدوح بالفرات والسحب الممطرة خيراً. وأيضاً جاءت إمارات ودلالات الكرم في بيان محامد الممدوح وخصاله الرفيعة كالحسب الكريم والعفة والطهارة والغيرة والحمية والدفاع عن الجار وبذل المعروف، كذلك بيان خصال المتوفى الرفيعة المتسمة بالكرم. وفي التالي تطرقنا إلى بيان الكرم ودواعيه الواردة في نقائض الفرزدق بالنسبة للجرير وذويه.

٢ . ٢ . ١ . الكرم في الضيافة

حبُّ الضيافة وإكرام الضيف، هي من شيم العرب قديماً وحديثاً، وقد جُبلَت طباعهم وسريرتهم على هذه القيم الأخلاقية. فقد ذُكر في المراجع العربية من كتب اللغة والأدب، أنه لم يشغف العرب في الجاهلية والإسلام بأكثر من شغفهم بالشجاعة والكرم، إذ اقترن ذكر الكرم بأسماء الأجواد الأسخياء العرب من أهل الكوفة والبصرة والحجاز وغيرهم، وكان الملوك شديدي الحرص على أن تنتشر سمعة كرمهم من خلال الشعر والشعراء الذين أشادوا بأفعالهم، وأشاروا إلى هاتين الصفتين بالتنويه، سواء حقاً أوباطلاً أومبالغة.

وبعد مجيء الإسلام، أضفى على الكرم قيماً روحية وغايات سامية، عبر ثنائه على معاني الجود والسخاء وذمّه لمظاهر الشح والبخل وتفضيله طريق الاعتدال في الإنفاق، وكذلك في «تنظيمه لطرق العطاء وتقديمه، وضمان ذهابها إلى أهلها مما يعود بالخير على العاطي والمعطى له.

ونجد النصوص القرآنية واضحة في هذا الخصوص، حيث يقول الباري جل علاه في الوصايا الأخلاقية» الدالة على الاقتصاد في التعامل: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً**﴾[١٢].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى* وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾ [١٣]ويروى «اليدُ العُلْيَا خَير من اليدِ السُّفْلَى، واليد العُلْيَا هي المُنْفِقَةُ، والسُّفْلَى هي السَائِلة»[١٤].

وممّا علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة (عليها السلام) انه قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»[١٥] قال رسول الله (ص): «اِنَّ مِنْ حَقِ الضَّيْفِ اَنْ يُكْرَمَ وَاَنْ يُعَدَّ لَهُ الْخِلالُ»[١٦] وكانوا قديما يتقصدون المبالغة في مدح الكريم وذمّ البخيل، الأمر الذي شجع الكرماء على عمل الخير ودفع المترددين منهم إلى المبادرة بالكرم خوفاً من الذم، مما جعله من القيم الأكثر تداولاً في الأشعار والكتابات القديمة. إضافة إلى ذلك، رُبط الكرم بصفات ذات قيمة عالية مثل الإحسان والود والنجدة والعطف والمروءة والشهامة والعزة وعفة النفس والرجولة

والمسؤولية الاجتماعية والأخلاقية وغيرها، أما البخل، فجُعل على رأس قائمة الصفات المذمومة وقرنوه بالدناءة والوضاعة، الأمر الذي أسهم في نشر عادة الكرم.

كما وصل الكرم في أعلى مراتبه إلى الإيثار الذي من الممكن أن يعرض صاحبه للهلاك، في محاولة نجدة أوإغاثة ملهوف، إضافة إلى إكرام الضيف إلى الحد الأقصى الذي يُعدّ واجباً عند العرب في بذل أفضل ما لديهم.

يذكر في كتاب (الكرم والجود والسخاء) من سلسلة صفات عباد الرحمن أن بعض أسباب ذيوع صفة الكرم بين العرب يرجع إلى طبيعة الحياة العربية في المجتمع البدوي القديم، الذي كان دائم الترحال، فراراً من الجفاف، فكان العربي يُرسي دعائم تلك القيم حتى تعم وتنتشر، فيعود خيرها في النهاية إليه أيضاً [١٧]

أ . الكرم في إيقاد نار القِرى

اهتمّ العرب بالنار منذ القدم، حيث كانوا يوقدونها لأغراض مختلفه، وقد صاحبتهم فى مناسبات عديده كالأفراح والأتراح والأحلاف والأمراض والليل والصيد والخوف والحروب وإكرام الضيوف.

والقِرى هوما يُقَدَّم إلى الضيف من طعام، والإحسان إليه، وقرى الضيف هو إطعامه، والقِرَى مصدر ثلاثى من قَرَى، يَقرِى، قرىً وقَريًّا وقَراءً، فهو قارٍ والمفعول مَقرِى، قَرَى الضيفَ: أضافه وأكرمه، أحسن إليه، منحه القِرى والحمايه.

ونار القرى: وهي نار توقد ليلا ليراها الاضياف فيهتدوا اليها، وكان من اداب العرب الكرماء إشعال النار ليلاً ليستشعر بها المار أوالمسافر حتى يستهدي بها أولاً ويأوي نحوها للضيافة أوللتدفئة. وكان العرب يوقدون نار القرى في أمكنه مرتفعة حتى يشاهدها الضيوف من مسافات بعيدة، ويهتدون إليها، فهي تعتبر مصدر هداية وسعادة لمن ضلّ الطريق «أو واجه البرد القارص والمطر الغزير والرياح الشديده وماشابه ذلك من حوادث طبيعية»[١٨]

وجاءت هذه الظاهرة في اتجاهات عديدة في اشعار الفرزدق منها استدعاء الضيف الضال في الطريق ليلاَ. في الأبيات التالية من قصيدة عنوانها: إن تلتمسني في تميم تلاقني من البحر الطويل، نجد الفرزدق يتحدث لنا عن نفسه راغباً بإكرام الضيف ليلاً بعد ما يأس من نباح الكلاب، وأن الضيف بسبب شدة الرياح لم يستهد الطريق، فقام الشاعر بنفسه، وطلب من الخادم أن يشعل النار ويجعلها مستعرةً:

فَقُلتُ لِأَهلي صَوتُ صاحِبُ نَفرَةٍ ... دَعا أَوصَدىً نادى الفِراخَ الزَواقِيا

تَأَنَّيتُ وَاِستَمعتُ حَتّى فَهِمتُها ... وَقَد قَفَّعَت نَكباءَ مَن كانَ سارِيا

فَقُمــتُ وَحــاذَرتُ السُــرى أَن تَفــوتَني بِــذي شُــقَّةٍ تَعلوالكُســورَ الخَوافِيــا[١٩]

الزواقي: المصوتة. قفعه البردُ: أيبس أصابعه. النكباء: الريح الباردة. ذوشقة: الطريق العسير الصعب المسلك. الكسور: الأرض الصاعدة والهابطة. يقول إنه سمع الصوت وقال إنه صوت طلب نجدة أونفرة للقتال أوصوت طير تنادي فراخها. فالشاعر ينبيء أهله بأن هناك صوتاً لشخص في الليل يستهدي الطريق، وبعد ما تأنى لذلك الصوت، فهم بأن ذلك الصوت لشخص سارٍ في الليل قد أصابه البرد القارس، وقد يبست يداه من شدة البرد، وهويريد الضيافة والاستدفاء. فبادر الشاعر هو بنفسه لإشعال النار واستدعاء الضيف الضال الطريق حتى لا تفوته فضيلة إكرام الضيف.ثم يقول:

«فَلَمّــا رَأَيــتُ الــريحَ تَخلِــجُ نَبحَــهُ وَقَــد هَــوَّرَ اللَيــلُ السِــماكَ اليَمانِيــا

حَلَفــتُ لَهُــم إِن لَــم تُجِبــهُ كِلابُنــا لَأَســتَوقِدَن نــاراً تُجيــبُ المُنادِيــا

عَظيمــاً سَــناها لِلعُفــاةِ رَفيعَــةً تُســامي أُنــوفَ الموقِــدينَ فَنائِيــا

وَقُلــتُ لِعَبــدَيَّ اِســعِراها، فَإِنَّــهُ كَفــى بِسَــناها لِإِبــنِ إِنسِــكَ داعِيــا»[٢٠]

تخلج: تحرك. هور: أسقط. السماك: نجم. العفاة: من قل طعامهم أولم يبق لديهم شيء منه. يقول إن الريح كانت تعبث بصوته والنجم يوشك أن يتوارى. ويقول إنه أقسم إذا لم تنابحه الكلاب ليهتدي بنابحها، فإنه مرمع أن يوقد له ناراً. ثم يصف النار التي يوقدونها للضيوف ويقول إنها عظيمة الالتهاب للعفاة المنتجعين، تصل إلى أنوف موقديها، وقد طلب من عبيديه أن يوقداها.

نرى الشاعر الفرزدق في بيان إحدى ظواهر الكرم وهي نار القرى يتحدث عن نفسه قائلاً:

إِذا خَمَــدَت نــارٌ فَــإِنَّ اِبــنَ غالِــبٍ سَــتوقِدُها لِلطــارِقينَ خَلائِقُــه

أَنــا المُطعِمُ المَقرورَ فــي لَيلَــةِ الصَبا وَأَجهَــلُ مَــن يَخشــى الجَهــولَ بَوائِقُــه[٢١]

ابن غالب: هوالفرزدق نفسه، الطارقين: الضيوف يقبلون ليلاً. الخلائق: الخصال. المقرور: المصاب بالبرد. الصبا: الريح الشمالية. البوائق: جمع البائقة: الداهية.

يقول إنه يوقد نار القرى من دون الآخرين وإنه يطعم الجياع المصابين بالبرد ولكنه مع ذلك بطاش كأجهل الجهال، وإنه ينقض على أعدائه بالدواهي الداهية.

فنار القرى تعد من أهمّ مفاخر العرب فى العصر الجاهلى، حيث كانوا يوقدونها ليلًا ليراها الناس ليهتدوا إليها حتى يحصلوا على إيواء وضيافة وإحسان الذين أوقدوها؛لأنّ للكرم قيمه إنسانية عاليه جدًّا عند الإنسان العربى في العصر الجاهلى، وهي مصدر اعتزازه وفخر قومه، ويتوارثها

أبًا عن جَدّ، ويسعى جاهدًا للحفاظ عليها حتى لايتعرض لمذمة الآخرين التى تفقده وجاهته ومنزلته.

«فَخُضتُ إلى الأَثناءِ مِنها وَقَد تَرى ذَواتِ البَقايا المُعسِناتِ مَكانِيا
وَما ذاكَ إِلّا أَنَّني اِختَرتِ لِلقِرى ثَناءَ المَخاضِ وَالجِذاعَ الأَوابِيا»[٢٢]

المعسنات: الإبل السمينة. الثناء: التي ألقت أسنانها. المخاض: التي أوشكت أن تلد.. الجذاع: الإبل الصغيرة. يعبر الشاعر عن حبه للقرى وإكرام الضيف وأنه ينحر للأضياف افضل النوق التي يمتلكها. وفي هذا الخصوص وهو إيقاد نار القرى، نرى الشاعر يمدح كثير بن سيار التميمي مولى بني سعد وهو قوم أصلهم ارس ثم نزلوا تشتر، فادعتهم بنوسعد، فأبوا:

«إِنَّ كَثيراً كَثيرٌ فَضلُ نائِلِهِ مُرتَفِعٌ في تَميمٍ موقَدَ النارِ
المالِئُ الجَفنَةَ الشَيزى إِذا سَغَبوا وَالطاعِنُ الكَبشَ وَالمَنّاعُ لِلجارِ»[٢٢]

الجفنة: القدر. الشيزى: القدر الكبير جداً. سغبوا: جاعوا. الكبش: فحل الإبل. يقول إن فضله كثير في النائل، أي العطاء وأنه سام بين التميميين وأنه يوقد نار العطاء العالية، وأنه يطعم من القدور الكبيرة حين يجوع الناس ويطعن الفحل الكبير ليطعم لحمه للضيفان ويحمي جاره ولا يتخلى عنه.

إن ما يذكره الشاعر عن إيقاد النار للأضياف، وغيرها من مظاهر الكرم، تبقى بعيدة عن واقع الحال، ولاتعكس سوى رغبته في استحضار تلك المظاهر، التي حرص عليها القدماء، وساروا على منهجها:

«فَما خَمَدَت حَتّى أَضاءَ وَقودُها أَخا قَفرَةٍ يُزجي المَطِيَّةَ حافِيا
«فَقُمتُ إِلى البَركِ الهُجودِ وَلَم يَكُن سِلاحي يُوَقّي المُربِعاتِ المَتالِيا»[٢٣]

أخا قفرة: من يسير في الصحراء ليلاً. يزجي المطية: يسوقها. البرك: الإبل السمينة. الهجود: المربعات: النياق تنتج في الربيع، المتالي: التي يتلوها أولادها» قبل أن تخمد نار القرى المشتعلة، ظهر على ضوءها شخصا يسوق مطيته ليلاً وفعندها ذهب الشاعر إلى محل النوق السمان لينحر أحداهن للضيف الطارق.

فيرسم لنا الشاعر صورة من إشتعال نار القرى للأضياف وذهابه إلى النياق السمينة لينحر البعض منها للضيوف.

تعتبر نار القرى دليلًا ماديًا للعابرين والضيوف والمسافرين ليهتدوا بها إلى مضارب القبائل، ودليلًا معنويًا أيضًا إلى إكرام الضيوف والترحاب بهم.ومن قرى الضيف أن يُحدِّث المُضِيف ضيفه ويلاطفه بكلامه ويظهر له البشاشه ويخدمه خدمة صادقه، يقول حاتم الطائى في هذا

الشأن:

وإذا كان من عادة العرب أن يقولوا: (أحيي معروفك بإماتة ذكره)[٢٤] فإن الشعراء ومنهم الفرزدق قد خالفوا هذه القاعدة، فأشاعوا ما أشاعوه من كرم أقوامهم استناناً بسنن من سبقهم من الشعراء [٢٦]ورغبة في أن يرفعوا من شأن قبيلتهم، من خلال إشاعة أفعالهم، التي تسموبهم على أقرانهم.

«سَـرَوا يَخبِطـونَ اللَيـلَ وَهـيَ تَلُفُّهُـم ... عَلـى شُـعَبِ الأَكـوارِ مِـن كُـلِّ جانِـبِ
إِذا مـا رَأوا نـاراً يَقولـونَ لَيتَهـا ... وَقَـد خَصِـرَت أَيـديهِمُ نـارُ غالِـبِ
إِلـى نـارِ ضَـرّابِ العَراقيـبِ لَـم يَـزَل ... لَـهُ مِـن ذُبـابَي سَـيفِهِ خَيـرُ حالِـبِ»[٢٦]

تخزم: تثقب. الأطراف: الأنامل. يخبطون: يضربون على غير هدى. شعب: نواحي. الأكوار: جمع الكور. رحل البعير. يقول إنهم سروا ليلاً يخبطون على غير هدى وهي تحدق بهم على جوانب الأكوار وتطوبهم من كل جهة. وخضرت: بردت.

ويقول إنهم يضعون عصيهم في أفواههم لأنهم يعجزون عن حملها من شدة الصعيق وهي كأنها تخز أناملهم بمثل شووك العقارب السامة. فهو يصف ركباً مسافرين وقد ألمت بهم الريح من كل جانب وجعلت تجذب عصائبهم وكأنهم ذات ثأر عليها، تطلبها وتزجيها إزجاء العنف.وإنهم يرون ناراً تضيء للمدلجين السارين ليلً وقد جمد البرد أيديهم، فيتمنون أن تكون ناراً لوالد غالب. وهو إنما يفخر بأن نار أبيه عرفت في العرب وشاع أمرها بين الناس كلهم.

ونرى الفرزدق يرثي أباه غالب بن صعصعة مادحاً إياه بالسماح والندى واشتعال نار القِرَى:

«نَعـائي اِبـنَ لَيلـى لِلسَـماحِ وَلِلنَـدى ... وَأَيـدي شَـمالٍ بـارِداتِ الأَنامِـلِ
وَقَـد خَمَـدَت نـارُ النَـدى بَعـدَ غالِـبٍ ... وَقَصَّـرَ عَـن مَعروفِـهِ كُـلُّ فاعِـلِ
أَلا أَيُّهـا الرُكبـانُ إِنَّ قِـراكُمُ ... مُقـيمٌ بِشَـرقِيِّ المَقَـرِّ المُقاتِـلِ
عَلى المُطعِمِ المَقرورِ في لَيلَةِ الصَبا ... دَفـوعٍ عَـنِ المَـولى بِنَصـرٍ وَنائِـلِ»[٢٧]

المقر: موضع في البصرة فيه قبر غالب. مقراه: ضيافته، سروا مشوا ليلاً تفرجت: انقشعت. يقول إنهم ارتحلوا عن مقامهم ومضو الظلمة يقول إن نار الكرم أطفأت إثر والده. فالشاعر ينعى والده وقد كان كريماً يؤوي أيام تهب الريح التي تبث الصعيق في الأنامل. ويقول إنهم يبكون ضيافته كمن يبكي والده المفارق والذي مات عنه وكان يعطف عليه. المقرور: المصاب بالبرد. الصبا: الريح الشمالية. المولى اللاحق. النائل: العطاء.

ومن جملة الكرم هواكرام الضيوف ليلاً:

«وَأَضـــيافِ لَيـــلٍ قَـــد نَقَلنـــا قِـــراهُمُ إِلَـــيهِم فَأَتلَفنـــا المَنايـــا وَأَتلَفـــوا
وَكُنّـــا إِذا نامَـــت كُلَيـــبٌ عَـــنِ القِـــرى إِلـى الضَيفِ نَمشي بِالعَبيطِ وَنَلحَفُ»[٢٨]

يقول إنهم لا ينتظرون الضيوف أن يدركوهم، وإنما هم يحملون الطعام إليهم حيث هم لينقذوهم من الهلاك ويقتلوا الموت عنهم، ويقول إنه إذا أقبل عليهم الأعداء ليلاً كأنهم الضيوف، فإنهم يتصدون لهم ويعيدون إليهم نواياهم ويقتلونهم قبل أن يقتلوا بهم.

وقال أيضاً في عبدالله بن شريك النهشلي واصفاً إياه بالكرم:

«وَمـــا زادَهُ إِلّا اِنفِراثـــاً لِقـــاؤُهُ قُرَيشـاً وَمـا اِستَحيا وَذوالعِـرضِ يَتَّقـي
عَلـــى نَفسِـــهِ حَتّـــى يُزايِـــلَ جـــارَهُ كَريمـاً وَلَـم يَظعَـن بِعِـرضٍ مُخَـرَّقِ»[٢٩]

النفراث: الانكسار. يقول إنه لقي قريشاً دون جدوى وما استحيا من علاها وهيبتها ومن يكون صاحب عرض وشرف فإنه يتقي ويخجل. ويكمل المعنى السابق بقوله إنه يتقي على نفسه من أن يغادر جاره إلا كريماً، وليس مخرق العرض وممزقه.

ب . الكرم في استنباح الكلاب لاستجلاب الضيوف

استنباح الكلاب مأخوذة من النباح وهي ظاهرة معروفة عند العرب البدو والرحل، فكانوا يحثون الكلاب على النباح، إما لطرد الشر من الكواسر والذئاب حفاظاً على المواشي، وإما لإستدعاء الضيوف ليلاً ليهتدوا إلى مكان الضيافة. فقد فكانوا إذا اشتد البرد وهبت الرياح لم تشب النيران، فرقوا الكلاب حوالي الحي، وربطوها إلى العتمة لتستوحش فتنبح، فتهدي الضلال، وتأتي الأضياف على نباحها» [٣٠](الأبشيهي، ١٤١٩، ١٨٤).

وقد لايهتدي الضيف بنار القرى ويضل في مجاهل الصحراء سارباً على غير هداية، لاسيما إذا ما كانت السماء مغبرة حالكة الظلمة والريح، والريح عاتية تحول دون تأجيج النيران، فلا يجد الطارق بدا من أن يعمد إلى استنباح كلاب الحي، للاستدلال على صوتها، والاهتداء به على أهلها يقول الفرزدق:

«وَمُســـتَنبِحٍ وَاللَيـــلُ بَينـــي وَبَينَـــهُ يُراعـــي بِعَينَيـــهِ النُجـــومَ التَوالِيـــا
سَـرى إِذ تَغَشّـى اللَيـلُ تَحمِـلُ صَـوتَهُ إِلَـيَّ الصَـبا قَـد ظَـلَّ بِـالأَمسِ طاوِيـا
دَعـــا دَعـــوَةً كَاليَـــأسِ لَمّـــا تَحَلَّقَـــت بِـهِ البيـدُ وَاِعـرَورى المِتـانَ القَياقِيـا»[٣١]

تحلقت: أحدقت به من كل جانب. اعرورى: سار منفرداً. المتان، الواحد متن: الأرض الصلبة. القياقي: الأرض الغليضة».

فَقُلـتُ لِأَهلـي صَـوتُ صـاحِبُ نَفـرَةٍ دَعـا أَوصَـدىً نـادى الفِراخَ الزَواقِيـا»[٣٢]

الزواقي: المصونة. يقول انه سمع الصوت وقال انة صوت طلب نجدة اونفرة للقتال اوصوت طير تنادي فراخها

«فَلَمّـا رَأَيـتُ الـريحَ تَخلِـجُ نَبحَـهُ وَقَـد هَـوَّرَ اللَيـلُ السِـماكَ اليَمانِيـا»[٣٣]

«تخلج: تحرك ٠هور–اسقط ٠السماك – نجم ٠يقول ان الريح كانت تعبث بصوته والنجم يوشك ان يتوارى»

«حَلَفـتُ لَهُـم إِن لَـم تُجِبـهُ كِلابُنـا لَأَسـتَوقِدَن نـاراً تُجيـبُ المُنادِيـا»[٣٤]

عمد الشاعر إلى التشبث بالقيم الجاهلية، وان لم يكن قد عاش تفاصيلها، فعلى الرغم من أنه قد عاش في البصرة بيئة ظلت محافظة على نمط المعيشة البدوية، إلا أنه لم يعرف العيش في الصحراء، ومن ثم فإن حديثه عن المستنبح، يعكس اهتمامه الشديد بتراث أسلافه، والعمل على محاكاته، فقد كانت العرب تسمي الكلب داعي الضمير، لما يجلب من الأضياف بنباحه، وكانوا إذا اشتد البرد وهبت الريح ولم تشب النيران، فرقوا الكلاب حوالي الحي، وربطوها إلى العمد، لتستوحش، فتنبح، فتهدي الضلال وتأتي الأضياف على نباحها[٣٥].

«الحامِـلُ الثِقـلَ قَـد أَعيـاهُ حامِلُـهُ وَالموقِـدُ النـارَ لِلمُسـتَنبِحِ الساري

وَالعـابِطُ الكـومَ لِلأَضـيافِ إِذ نَزَلـوا فـي يَـومِ صِـرٍّ مِـنَ الصُـرّادِ هَـرّارِ»[٣٦]

الثقل: ثقل الدم والثأر أوالهمّ. الكوم: الناقة السمينة. الصر: البر الشديد. الصرار: الرياح الباردة مع الندى.

يقول إنه يحمل عن الناس أثقالهم ويؤدي دياتهم ويوقد ناره للطاريء الذي يستنبح الكلاب كي تجيبه ويهتدي بنباحها. ويقول: إنه يذبح الناقة السمينة في اليوم الشديد البرد المتجلد الرياح والذي يدع الكلاب تهرُّ من البرد.

ج. الكرم وقت هبوب الرياح المزعزعة

من سمات الكرم لدى العرب، وقت الشتاء، عند ما تهبُّ الرياح الباردة والمزعزعة، عندئذ يكون الطارق أو الساري بأحوج ما يكون إلى الإيواء والضيافة. فنرى الشاعر في هذه الحالة يفخر بقومه وبنفسه ويرسم لنا صورة من الكرم وقت الحاجة والشدة:

«مِنّـا الَّـذي اِختيـرَ الرِجـالَ سَـماحَةً وَخَيـراً إِذا هَـبَّ الرِيـاحُ الزَعـازِعُ

وَخَيـراً إِذا هَـبَّ الرِيـاحُ الزَعـازِعُ وَخَيـراً إِذا هَـبَّ الرِيـاحُ الزَعـازِعُ

وَمِنّـا الَّـذي يُعطـي المِئـينَ وَيَشـتَري ال غَـوالي وَيَعلوفَضـلُهُ مَـن يُـدافِعُ»[٣٧]

يفخر الفرزدق ويقول إن منهم من فاق الناس بالكرم حين تهب الرياح المبيرة في أيام الشتاء،

ويشير إلى الأقرع بن حابس الذي خاطب النبي بشأن أصحاب الحجرات، فردَّ النبي سبيهم، وحمل الأقرع الدماء.

في الأبيات التالية أيضاً نرى الشاعر الفرزدق ينوه إلى إحدى سمات الكرم، وهي إكرام الضيوف ليلاً عندما تهب الرياح الباردة التي تعصف بالبيوت وتقطع الحبال التي تثبت بها الخيام:

«إذا اِغبَـرَّ آفـاقُ السَـماءِ وَكَشَّـفَت كُسـورَ بُيـوتِ الحَـيِّ حَمـراءُ حَرجَـفُ

وَهَتَّكَـتِ الأَطنـابَ كُـلُّ عَظيمَـةٍ لَهـا تامِـكٌ مِـن صـادِقِ النِـيِّ أَعـرَفُ»[٣٨]

عندما تهب الرياح الشديدة الباردة وقت الشتاء وتغبر السماء وتزال ستور البيوت وتقطع أطناب الخيام. في تلك الحال يظهر الكرم في إكرام الضيوف.

«وَجـاءَ قَريـعُ الشَـولِ قَبـلَ إِفالِهـا يَـزِفُّ وَراحَـت خَلفَـهُ وَهـيَ زُفَّـفُ

وَباشَـرَ راعيهـا الصِـلا بِلَبانِـهِ وَكَفَّيـهِ حَـرَّ النـارِ مـا يَتَحَـرَّفُ»[٣٩]

قريع الشول: فحل القطيع. أفالها: صغارها. يزف: يعدو من البرد الشديد العاتي. والصّلا: التدفؤ والاصطلاء لبانه: صدره يتحرّف: لا يميل ولا ينحرف عن النّار. إنه يجيء الفحل عادياً ومن دونه النياق تحلق به عادية، وإن الرّاعي من شدة البرد كأنه يباشر النار بصدره وكفيه ولا يميل عناه ولا يحترف.

«وَأَوقَـدَتِ الشِـعرى مَـعَ اللَيـلِ نارَهـا وَأَمسَـت مُحـولاً جِلـدُها يَتَوَسَّـفُ

وَأَصـبَحَ مَوضـوعُ الصَـقيعِ كَأَنَّـهُ عَلـى سَـرَواتِ النيـبِ قُطـنٌ مُنَـدَّفُ

وَقاتَـلَ كَلـبُ الحَـيِّ عَـن نـارِ أَهلِـهِ لِيَـربِضَ فيهـا وَالصِـلا مُتَكَنِّـفُ»[٤٠]

الشّعرى: هي الشعرى العبور، وهي كوكب يطلع في مواسم البرد أول الليل.المحول أي ماحلة من الغيم والحساب. يؤسَّف: يتقشَّر. المتكنِّف: المجتمع حوله. فإذا ما بدت الشّعرى وأملق الفضاء من الغيم والحساب وأشعلت النار ليلاً للدفء عندها الكلب يقتحم إلى النار، ويدافع الناس عنها ليدنو منها فهما يتحلَّق الناس حولها. وبعد أن يكون البرد قد أفى الى تلك الحالة التي يوشك أن يعمّ فيها الهلاك الانسان والبهائم سواء بسواء:

«وَجَـدتَ الثَـرى فينـا إِذا يَـبِسَ الثَـرى وَمَـن هُويَرجوفَضـلَهُ المُتَضَـيِّفُ»[٤١]

الثّرى: الندى ولعطا. الثّرى الثانية: الأرض. المُتَضَيَّف: من يطلب الاستضافة. يظف: يهلك. فإنهم هم الذين يُطعمون ويهبون والضيفان يقبلون عليهم يطلبون ضيافتهم.

«تَـرى جارَنـا فينـا يُجيـرُ وَإِن جَنـى فَـلا هُومِمّـا يُنطِـفُ الجـارَ يُنطَـفُ»[٤٢]

ويضيف قائلاً إن جارهم المقيم فيهم ينال من الخطوة والمال والطعام ما يدعه هو ذاته يضيف

الآخرين وهولا يهلك قطّ مما يهلك به جيران الآخرين.

ج . الكرم في نحر النوق السمان

يتباهى العرب الكرام في تقديم أثمن ما يكون عندهم إكراماً للضيف. فهذا الشاعر الفرزدق يرسم لنا صورة من كرمه عندما يذهب نحو البرك الهجود ينحر ها للضيف:

«فَقُمتُ إلى البَركِ الهُجودِ وَلَم يَكُن سِلاحي يُوَقّي المُربِعاتِ المَتالِيا

فَخُضتُ إلى الأَثناءِ مِنها وَقَد تَرى ذَواتِ البَقايا المُعسِناتِ مَكانِيا»[٤٣]

البرك: الناقة السمينة. المعسنات: الإبل السمينة أيضاً. يقول إنه قام للناقة السمينة، وما كان يعفُّ في سبيل الضيافة عن الإبل المنتجة والتي يسعى إثرها فصلانها.

«فَمَكَّنتُ سَيفي مِن ذَواتِ رِماحِها غِشاشاً وَلَم أَحفَل بُكاءَ رِعائِيا

وَقُمنا إِلى دَهماءَ ضامِنَةِ القِرى غَضوبٍ إِذا ما اِستَحمَلوها الأَثافِيا»[٤٤]

الدهماء: القدر السوداء. يقول الشاعر إنه طعنها في ساقيها التي ترمح أي ترفس بها عشاء: أول الظلمة، ولم يحفل ببكاء الرعاة. ثم يصف القدر ويقول إنها حين توضع على الأثافي أي الموقدة، فإنها تستعر وتغلي وكأنها غضبى.

«جَهولٍ كَجَوفِ الفيلِ لَم يُرَ مِثلُها تَرى الزَورَ فيها كَالغُثاءَةِ طافِيا

أَنَخنا إِلَيها مِن حَضيضِ عُنَيزَةٍ ثَلاثاً كَذَودِ الهاجِرِيِّ رَواسِيا»[٤٥]

الثلاث: أي الحجارة الموقد وقد قرنها بالإبل لعظمها. يستمر الشاعر بوصفه للقدر قائلاً: إن قعرها مجهول وإن جوفها كجوف الفيل، وإن زور البعير ألقي فيها، يبدو كالغثاء الهزيل.

«فَما قَعَدَ العَبدانِ حَتّى قَرَيتُهُ حَليباً وَشَحماً مِن ذُرى الشَولِ وارِيا»[٤٦]

الذرى: الأسنمة. الشول: الواحدة شائلة وهي ما مضى على حملها أووضعها سبعة أشهر، فجف لبنها. الواريى: اللحم الدسم. وفي التالي يصف إكرامه للضيف حيث قدم له الحليب والشحم من الناقة السمينة الشول وذلك بعد فراغ العبدان من تهيئة الطعام.

وسعى الشاعر إلى تأدية حق ضيفه، كما أوجبته القيم العربية التي توارثها، وتأصلت في نفسه، فنراه ينتقي لضيفه أجود إبله (البرك)، (المربعات المتاليا) ومع إمكانية عدم امتلاكه إبلاً أصلاً، إلا أنه قد تحدث عن نحرها لضيفه، مظهراً حزن رعاتها عليها، ولعل حزنهم نابع من مكانتها التي تحتلها من نفوسهم، والتي تغاضى عنها الشاعر؛ إكراماً لضيفه، وإقراراً بحقه في الضيافة.

والملاحظ أن الشاعر قد تعمد المبالغة في إظهار كرمه للأضياف، ولم يقتصر ذلك على الإبل إلى نحرها، وإنما تجاوزها إلى طبيعة القدر (الدهماء) فقد كانت من السعة، بحيث إنها كانت

قادرة على استيعاب عدة جزور، التزاماً بما سنه أسلافه وعلى الرغم من كل مظاهر الكرم التي أبداها لضيفه، إلا أن نفسه لم تطمئن، إلا بعد أن تحقق كرمه (قريته) ونال الضيف حق وفادته. ويمدح الشاعر فتى اسمه ديكل حيث نحر جذور سمينة للضيوف:

«أَقَلَّ مِكاساً في جُذورٍ سَمينَةٍ وَأَسرَعَ إِنضاجاً وَإِنزالَ مِرجَلِ
فَتى كَرَمٍ يَهتَزُّ لِلمَجدِ لا تَرى نَداماهُ إِلّا كُلَّ خَرقٍ مُعَذَّلِ»[٤٧]

الخرق: الجواد المحمق في كرمه. المعذل: يلام على كرمه ويعذل.يقول إنه لايساوم في ذبح الناقة السمينة وهو يسرع بانضاجها والنزال المرجل الذي غليت فيه.

د . الكرم في تقديم الطعام

في طبيعة الحال يتجلى الكرم، وتظهر بوادره قولاً وفعلاً في تقديم الطعام للوافدين أوالضيوف.

«يا وَقعَ هَلّا سَأَلتِ القَومَ ما حَسَبي إِذا تَلاقَت عُرى ضَفرٍ وَأَحقابِ
إِنّي أَنا الزادُ إِذ لا زادَ يَحمِلُهُ رِكابُهُم غَيرَ أَنقاءٍ وَأَصلابِ»[٤٨]

وقع: مرخم وقعه. أم سوداء: زوجته. الضفر: الرحل. الأحقاب: السنون. الأنقاء: جمع النقي: مخ العظم. الأصلاب: جمع الصلب: المتن. يفخر الشاعر بنفسه وبقومه حين تأتي السنون المجدبة ويملق الناى، ويقول إنه يطعم الجياع حين لا تحمل المطايا زاداً ولا أي أمر إلا العظام الهزيلة والمتون الواهية.

«وَقَد عَلِمَ الجيرانُ أَنَّ قُدورَنا ضَوامِنُ لِلأَرزاقِ وَالريحُ زَفزَفُ
نُعَجِّلُ لِلضيفانِ في المَحلِ بِالقِرى قُدوراً بِمَعبوطٍ تُمَدُّ وَتُغرَفُ»[٤٩]

يرسم الشاعر صورة من صور الكرم العربي القديم الذي حرص الشعراء الأمويون على بعثه من جديد وكأنها محاولة منه لاستنهاض تراث آبائه وأجداده، والتواصل مع ما خلفوه لهم من قيم، رسخت في نفوسهم.

وإذا كان من عادة العرب أن يقولوا: (أحيي معروفك بإماتة ذكره)، فإن الشعراء ومنهم الفرزدق قد خالفوا هذه القاعدة، فأشاعوا ما أشاعوه من كرم أقوامهم استناناً بسنن من سبقهم من الشعراء ورغبة في أن يرفعوا من شأن قبيلتهم، من خلال إشاعة أفعالهم، التي تسموبهم على أقرانهم. وفيما يختص بإطعام المراضيع وقت الفاقة يقول:

«إِذا السماءُ غَدَت أَرواحُ قِطقِطِها كَأَنَّهُ كُرسُفٌ يُرمى بِأَوتارِ
تَرى المَراضيعَ بِالأَولادِ تَحمِلُها إِلى كَثيرٍ عَلى عُسرٍ وَأَيسارِ»[٥٠]

القطقط: الثلج. الكرسف: القطن. يرمي بأوتار: يندف. يقول أنه يطعم حين تهب الرياح بالثلج

الذي يبدو كقطن مندوف. ويقول: إن النساء المرضعات يحملن أولادهن إليه سواء أكن ثريات أوفقيرات.

وفيما يختص بإطعام الأرامل، يمدح أل المهلب قائلاً:

«وَرِثـوا الطِعـانَ عَـنِ المُهَلَّـبِ وَالقِـرى وَخَلائِقـــاً كَتَـــدَفُّقِ الأَنهـــارِ
أَمّـــا البَنـــونَ فَـــإِنَّهُم لَـــم يورَثـــوا كَتُراثِـــهِ لِبَنيـــهِ يَـــومَ فَخـــارِ
كُـــلَّ المَكـــارِمِ عَـــن يَدَيـــهِ تَقَسَّـــموا إِذ مـــاتَ رِزقُ أَرامِـــلِ الأَمصـــارِ»[٥١]

القرى: الضيافة. يقول: لا مثيل للتراث الذي خلفه لأبنائه. ويقول إنه كان يعيل الأرامل وينال بذلك المكارم.

٢ . ٢ . ٢ . الكرم في العطاء

ويمدح بني شيبان وعبد الله بن الأعلى بن أبي عمرة الشيباني الشاعر:

«فَآلَـــت لِحَمّـــامٍ فَفـــازوا بِصَـــفوِها وَمَـــن يُعـــطِ أَثمـــانَ المَكـــارَمِ يُعظَـــمِ»[٥٢]

يقول إن المكارم لها ثمن ينال من يؤدي ذلك الثمن.

ويقول وهو يعاتب بكر بن وائل ليس عن كره ونميمة بل لتجنيه بعد أن قطعوه وكانوا قد آمنوه:

«هُـــمُ رَهَنـــوا عَـــنهُم أَبـــاكَ وَمـــا أَلَـــوا عَنِ المُصطَفى مِن قَومِهِم بِالتَكَرُّمِ»[٥٣]

فيقول إنهم هم الذين آووا أباه وبذلوا كرمهم للمصطفين يلوذون إليهم.

أ . الكريم في إهداء النوق الكرام

قال الفرزدق لبلال بن أبي بردة أنه يشتريه بماله الأفضال في البذل والكرم:

«رَأَيـــتُ بِـــلالاً يَشـــتَري بِـــتِلادِهِ مَكـــارِمَ فَضـــلٍ لا تُنـــالُ فَواضِـــلُه
فَتـىً يَهَـبُ الجُرجـورَ تَحـتَ ضُـروعِها بَنـــاتُ دَجـــوجِيٍّ صِـــغارٍ جَواثِلُـــه
فَـــدونَكَ هَـــذي يـــا بِـــلالُ فَإِنَّهـــا إِلَيـــكَ بِمـــا تَنمـــي الكَـــريمَ أَوائِلُـــه»[٥٤]

الجرجور: الإبل الكريمة. الدجوجى: فحل الإبل الأسود. جواثله: صغاره. يقول إنه يهب الإبل وفصائلها.يقول إنه يشتري المجد بثمن غال من الكرم والمساعي وهو إنما ينافس المنضولين ليتفوق عليهم. ويقول إن ذويه هم الذين يهبون المال بالمئين والنياق وأنهم يشترون الموؤدات ويفضل الآخرين الذين يسامونه.

ونراه يمدح هشاما:

«هِشـامَ بـنَ خَيـرِ النـاسِ إِلّا مُحَمَّـداً وَأَصـحابَهُ إِنّـي لَكُـم لَـم أُقـارِفِ
إِلـى آلِ مَـروانَ اِنتَهَـت كُـلُّ عِـزَّةٍ وَكُـلُّ حَصـىً ذي حَومَـةٍ لِلخَنـادِفِ

هُـمُ الأَكرَمـونَ الأَكثَـرونَ وَلَـم يَـزَل لَهُـم مُنكِـرُ النَكـراءِ لِلحَـقِّ عـارِفُ»[٥٥]

يقول إن هشام هو خير الناس من دون النبي وإنه لم يقترف ذنباً ويقسم بالله الذي تنحر له النياق في مكة. والخنادف: أبناء قوم الفرزدق. ويقول: إن قومه يؤيدونه بقوتهم وعديدهم الكثير. ويقول إن آل مروان هم الأكثر. ينهون عن المنكر ويأمرون بالمعروف.

وقوله يمدح نصر بن سيار:

«يَرضـــى الجَـــوادُ إِذا كَفّـــاهُ وازَنَتـــا إِحـدى يَمينَـي يَـدَي نَصـرِ بـنِ سَـيّارِ

يَـداهُ خَيـرُ يَـدَي شَـيءٌ سَـمِعتُ بِـهِ مِـــنَ الرِجـــالِ لِمَعـــروفٍ وَإِنكـــارِ

العـــابِطَ الكـــومَ إِذ هَبَّـــت شَـــآمِيَةً وَقاتَـــلَ الكَلـــبُ مَـــن يَـــدنوإِلى النـــارِ

وَالقائِـــلُ الفاعِـــلُ المَيمـــونُ طـــائِرُهُ وَالمـانِعُ الضَيمَ أَن يَدنو إِلـى الجـارِ»[٥٦]

العابط: الناحر والذابح. الكوم: الناقة السمينة. الشآمية: الريح الشمالية الباردة. يمتدحه بكرمه في زمن المحل والصقيع. يقول: إن يديه هما خير يدي رجل يبذل بهما المعروف والكرم وفي الآن ذاته ينزل بالأعداء الويلات المنكرة. ويقول: إنه ينحر النياق السمينة حين تهب الريح الشمالية وتصطك عظام الكلاب من الصقيع، فتتقاتل لتدنومن النار.

«كَـم فيـكَ إِن عُـدِّدَ المَعروفُ مِـن كَـرَمٍ وَنائِـــلٍ كَخَلـــيجِ المُزبِـــدِ الجـــاري

أَنـــتَ الجَـــوادُ الَّـــذي تَرجـــى نَوافِلُـــهُ وَأَبعَـدَ النـاسِ كُـلِّ النـاسِ مِـن عـارِ

وَأَقـرَبُ النـاسِ كُـلِّ النـاسِ مِـن كَـرَمٍ يُعطـي الرَغائِـبَ لَـم يَهمُـم بِإِقتـارِ»[٥٧]

يمتدح الفرزدق نصر بن سيار ويقول إن أجود الناس يرضى إذا ما عدلت كفاها، جميعاً، يمين نصربن سيار في العطاء أي إن يده الواحدة تفوق يدي أكرم الناس.

ب . الكرم في بذل الأموال

إحدى سمات الكرم هي بذل الأموال للمحتاجين وإنفاق وبذل الأمول لذوي الفاقة أمر مستحسن تشتاق إليه النفوس الطيبة وخاصة إنفاق العفومن المال دوالإسراف. قال البارئ جل علاه: «.. ويَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ»[٥٨] . وانفاق الأموال الزائدة تكون في مجال: «يَسأَلونَكَ ماذا يُنفِقونَ قُل ما أَنفَقتُم مِن خَيرٍ فَلِلوالِدَينِ وَالأَقرَبينَ وَاليَتامىٰ وَالمَساكينِ وَابنِ السَّبيلِ وَما تَفعَلوا مِن خَيرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَليمٌ» [٥٩]

قال الشاعر الفرزدق مادحاً نصر بن سيار، واصفا إياه بالفيض والعطاء مبالغاً في مدحه:

«لَوكُنتَ حَيثُ اِنصَبَّتِ الشَمسُ لَم تَزَل مُعَلَّقَـــــةً هاماتُنـــــا بِرَجائِكـــــا

وَيَومـــاكَ يَـــومٌ مـــا تُـــوازى نُجومُـــهُ كَريـــهٌ، وَيَـــومٌ مـــاطِرٌ مِـــن عَطائِكـــا»[٦٠]

يقول على سبيل التقابل، إن للمدوح يومان يوم كريه ويوم ماطر أي وانه ذويوم قتال تبين فيه نجومه في النهار ويوم عطاء يمطر الخير مطراً.

ج . تشبيه الكريم بالبحر ونهر الفرات

إحدى سمات وإمارات الكرم هي تشبيه الكريم بالبحر أوشط الفرات من جهة العطاء وأن عطاء الممدوح وكرمه لا ينفد.

فراه الشاعر الفرزدق في تبيين دلالة الكرم واصفاً الممدوح بذلك يقول إنه يفيض عطاء وكأن في يمينه نهري عطاء ونهر بلخ في خراسان حيث تطفو السفن.

«لَـهُ راحَتـا كَفَّـينِ فـي راحَتَيهِمـا مِـنَ البَحـرِ فَـيضٌ لا يُنَهنَـهُ زاخِـرُه
أَلَـم تَـرَ نَصراً يَضـمَنُ الطَعـنَ وَالقِـرى إِذا الريحُ هَبَّت أَوذَوى السَرحَ ذاعِرُه»[٦١]

يقول إنه وهبه الممدوح بكثرة حتى بات الناس ينتجعونه بدوره وبات يهب الضيوف ويجبرهم.

«إِلَيـكَ أَبـانَ بـنَ الوَليـدِ تَجـاوَزَت قُـرىً وَرِجـالاً مِـنهُمُ المُتَخَيَّـرُ
لِنَلقـاكَ وَاللاقيـكَ يَعلَـمُ أَنَّـهُ سَـيَلقى فُراتـاً وَهـومَلآنُ أَكـدَرُ»[٦٢]

يقول أنه ارتحل إليه عابراً المسافات وماراً بأقوام كثيرين ويقول أنة كريم كالفرات.

ويمدح سلم بن أحوز المازني:

«أَرجوفَواضِـلَ مِنـهُ إِنَّ راحَتَـهُ مِثـلُ الفُـراتِ إِذا آذِيُّـهُ زَخَـرا
لَـولَم تَكُـن بَشَـراً يـا سَـلمُ نَعرِفُـهُ لَكُنـتَ نَـوءَ سَـحابٍ يَسـحَلُ المَطَـرا»[٦٣]

الآذي: الموج العالي المتراكب. يقول إن كرمه كالفرات وهو فائض متراكب الموج. يسحل: يبكي، يصب.

يقول إنه لولم يكن بشراً لكان غماماً يهطل بالمطر. وقيل إنه حين سمع سلم هذا الشعر وهب الفرزدق أمتعته بيته كلها.

وقال يمدح خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، وأم المفداة هنيدة بنت صعصعة عمة الفرزدق:

«إِلـى خالِـدٍ سـيروا فَـإِن تَنزِلـوا بِـهِ جَميعـاً وَقَـد ضُـمَّت إِلَيـهِ ذَلاذِلُـه
تَكونـوا كَمَـن لاقـى الفُـراتَ إِذا اِلتَقـى عَلَيـهِ أَعـالي مَوجِـهِ وَأَسـافِلُه
كَـأَنَّ الفُـراتَ الجَـونَ أَصـبَحَ دارِئـا عَلَينـا إِذا مـا هَزهَزَتـهُ شَـمايِلُه
فَـإِنَّ لَـهُ كَفَّـينِ فـي راحَتَيهِمـا رَبيـعُ اليَتـامى وَالمَسـاكينِ وابِلُـه»[٦٤]

يقول إنه مثل الفرات الجون أي المسود من الطين عبر الفيضان تدفق من كل جهة وخصاله الحميدة تثبره وتدر كرمه.

ويقول: إنه يحيى اليتامى والمساكين بمطر كرمه وكأنه الربيع.

وقوله يمدح هشام بن عبد الملك ويعتذر إليه من هجائه المبارك ويذكر خالد بن عبدالله ويمدحه ثم يفتخر بكرمه:

«وَكَيفَ أَسُبُّ النَهر! لِلّه بَعدَما تَرامى بِدَفّاعٍ مِنَ الماءِ مُزبِدِ

إِلى كُلِّ أَرضٍ قادَ دِجلَةَ خالِدٌ إِلَيها وَكانَت قَبلَهُ لَم تُقَوَّدِ»[٦٥]

المبارك: النهر الذي حفره خالد. يقول الشاعر إن المبارك هونهر الله بكرمه واندفاعه، وهو يثب وثباً ويصخب صخباً بالخير والخصب. ونراه يمدح نصر بن سيار قائلاً:

«رَجَوتُ نَدى نَصرٍ وَدونَ يَمينِهِ فُراتانِ وَالطافي بِبَلخٍ قَراقِرُه

فَأَصبَحتُ أَعطى الناسِ لِلخَيرِ وَالقِرى عَلَيهِ لِأَضيافٍ وَجارٍ يُجاوِرُه»[٦٦]

الطافي ببلخ: نهرها وهي في خراسان. القراقر: السفن النهرية. وبلخ مدينة بخراسان وأكثرها خيراً وأوسعها غلة، تحمل غلتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم[٦٧]

د . تشبيه الكريم بالمزن والغيث

وفي مدحه لعمر بن هبيرة الفزاري:

«فَجاءَ بَينَهُما نَجمٌ إِذا اِجتَمَعا يُشفى بِهِ القَرحُ وَالأَحداثُ تُجتَبَرُ

أَغَرَّ يَستَمطِرُ الهُلّاكُ نائِلَهُ في راحَتَيهِ الدَمُ المَعبوطُ وَالمَطَرُ»[٦٨]

الأغر: الواضح الجبين. النائل: العطاء. الدم المعبوط: الدم المسفوك. يقول إنه يقيم بين الشمس والقمر وهو يبريء من الفتن ويجبر الأحداث ويقومها، وإنه يستعطي كالمطر وأنه يحمل بيديه دم القتلى الخارجين عن الدين والكرم الشبيه بالمطر.

وقال يمدح ابراهيم بن عبد الرحمن بن نافع وهو ابن عربي:

«مَتى تَلقَ إِبراهيمَ تَعرِف فُضولَهُ بِنورٍ عَلى خَدَّيهِ أَنجَحَ سائِلُه

تَصَعَّدُ كَفّاهُ عَلى كُلِّ غايَةٍ مِنَ المَجدِ لا تُندي الصَديقَ غَوائِلُه

بَلِ الجودُ وَالأَفضالُ مِنهُ عَلَيهِمُ كَغَيثِ رَبيعٍ كَدَّرَ الغَيثَ وابِلُه»[٦٩]

الفضول: الإفضال. يقول إن وجهه متألق يبين فضل صاحبه وإيثاره الخير. ويقول: إنه يرتقي إلى كل علي وهولا يغتاب الصديق ولا يغوله. ويقول: بل إنه يفيض على صحبه بالعطاء كالمطر الشديد الذي يكدر المراعي من شدته ومن فيضانه.

هـ . الكرم في بيان محامد الممدوح

وقال الفرزدق وهومحبوس يمدح خالد بن عبدالله القسري:

«سَتَسمَعُ ما تُثني عَلَيكَ إِذا اِلتَقَت ... عَلى حَضرَمَوتٍ جامِحاتُ القَصائِدِ

أَلَم تَرَ كَفَّي خالِدٍ قَد أَدَرَّتا ... عَلى الناسِ رِزقاً مِن كَثيرِ الرَوافِدِ

وَكانَ لَهُ النَهرُ المُبارَكُ فَارِتَمى ... بِمِثلِ الزَوابي مُزبِداتٍ حَواشِدِ

فَما مِثلُ كَفَّي خالِدٍ حينَ يَشتَري ... بِكُلِّ طَريفٍ كُلَّ حَمدٍ وَتالِدِ»[٧٠]

الروافد هنا: العطايا. يقول إن يد الممدوح تدر على الناس رزقهم، وأنه يدأب على العطاء ولا يكف عنه.والزوابي: هما الزابيان: نهران في أسفل الفرات. يقول إنه مثل النهر الذي يبدع الخصب ومن انتجعه منه، نال منه مثلما ينال من الروافد الصاخبة الحاشدة.

ويمدح الفرزدق عمر بن الوليد بن عبد الملك قائلاً:

«وَما مِن حَنيفٍ آلَ مَروانَ مُسلِمٍ ... وَلا غَيرِهِ إِلّا عَلَيهِ لَكُم يَدُ

إِذا عَدَّ قَومٌ مَجدَهُم وَبُيوتَهُم ... فَضَلتُم إِذا ما أَكرَمُ الناسِ عُدِّدوا»[٧١]

وقال يمدح عيسى بن خصيلة السلمي:

«سَأُثني بِما أَولَيتَني وَأَعُدُّهُ ... إِذا القَومُ عَدّوا فَضلَهُم في المَشاهِدِ

نَماكَ مُغيثٌ ذوالمَكارِمِ وَالعُلى ... إِلى خَيرِ حَيٍّ مِن سُلَيمٍ وَوالِدِ»[٧٢]

يقول إنه يقر بفضله وإنه سيخبر به في مشهد من النساء، أي إنه سينظم فيه الشعر. والمغيث: جد الممدوح.

ويقول:

«وَبيضٍ نَواعِمَ مِثلَ الدُمى ... كِرامٍ خَرائِدَ مِن خُرَّدِ

تُقَطِّعُ لِلَّهوأَعناقَها ... إِذا ما تَسَمَّعنَ لِلمُنشِدِ»[٧٣]

الخريدة: المرأة الحبيبة من النساء. يذكر النساء اللواتي كن يقمن ثمة ويقول إنهن كن بيضاً جميلات مثل الدمى أي الصور والتماثيل، متحدرات من نساء ماجدات كريمات.

٢ . ٢ . ٣ . الكرم في بيان الحسب الكريم

وقال يمدح زين العابدين:

«اللَهُ شَرَّفَهُ قِدماً وَعَظَّمَهُ ... جَرى بِذاكَ لَهُ في لَوحِهِ القَلَمُ

أَيُّ الخَلائِقِ لَيسَت في رِقابِهِمُ ... لَأَوَّلِيَّةِ هَذا أَولَهُ نِعَمُ»[٧٤]

يقول إن الله أراد أن يكون كريماً وقد كتب له ذلك ولا قبل للناس بانكاره؛ لأنه قدر مقدر من الله

في علمه وكتابه ويقول إنهم فاضوا بالنعم على الناس كلهم منذ البدء.ويمدح يزيد بن عبدالله:

«لَـدى مَلِـكٍ وَابـنِ المُلـوكِ كَأَنَّـهُ تَمـامُ بُـدورٍ ضَـوءُهُ غَيـرُ كاسِـفِ
أَبـوهُ أَبوالعاصـي وَحَـربٌ تَلاقَيـا إِلَيـهِ بِمَجـدِ الأَكـرَمينَ الغَطـارِفِ»[٧٥]

يقول إنه ملك موصل وإن بدورهم تستتم به وينسبه إلى أبي العاص وحرب ويقول إنهما تآلفا فيه، فولدا مجد الغطارف الأسياد:

«فَمـا أَحَـدٌ مِـنَ الأَقـوامِ عَـدّوا عُـروقَ الأَكـرَمينَ عَلـى اِنتِسـابِ
بِمُحتَفِظـينَ إِن فَضَّـلتُمونا عَلَـيهِم فـي القَـديمِ وَلا غِضـابِ»[٧٦]

يقول: إنه لا أحد ممن يفخرون بفضلهم بمتحفظين أي حاقدين، إذا ما فضل قوم الفرزدق عليهم؛ لأن قومه الأفضل والناس يقرون بذلك، ولا يجدون ضيماً فط تساميهم عليهم.

وكان الفرزدق يمر على رجل بالبصرة، فيسقيه سويقاً، تحمله جارية تدعى عيناء، وقد قال في ذلك:

«إِذا دُعِيَـت عَينـاءُ أَيقَنـتُ أَنَّنـي بِشَـربَةَ رَيٍّ لا مَحالَـةَ شـارِبُ
وَمـا ذاكَ مِـن عَينـاءَ سَـروعَلِمتُهُ وَلَكِـنَّ مَولاهـا كَـريمُ الضَـرايِبِ»[٧٧]

السرو: الكرم. الضرائب: جمع الضريبة: الطبيعة. وفي البيت الثاني اقواء. يقول إن الرجل البصري كان كريم الطبيعة، وإنه كان يأمر بالسويق، وأن عيناه ليست كريمة من ذاتها، وإنما من كرم سيدها.

وقال هذه الأبيات في يزيد بن المهلب وكان الحجاج استعمله على خراسان، فعزله واستعمل مكانه قتيبة بن مسلم الباهلي:

«بَكَـت جَرَعـاً مَـروا خُراسـانَ إِذ رَأَت بِهـا باهِلِيّـاً بِعـدَ آلِ المُهَلَّـبِ
أَغَـرَّ كَـأَنَّ البَـدرَ تَحـتَ ثِيابِـهِ كَـريمٍ إِلـى الأُمِّ الكَريمَـةِ وَالأَبِ»[٧٨]

يصفه بتألق الوجه، فكأنه يرسل البدر من دون ثيابه، وأنه كريم المنسب في أمه وأبيه.

وقال الفرزدق يمدح أبان بن الوليد البجلي:

«إِلَيـكَ أَبـانَ بـنَ الوَليـدِ تَغَلغَلَـت صَـحيفَتِيَ المُهـدى إِلَيـكَ كِتابُهـا
وَأَنـتَ اِمـرُؤٌ نُبِّئـتُ أَنَّـكَ تَشـتَري مَكـارِمَ وَهّـابُ الرِجـالِ يَهابُهـا»[٧٩]

يقول إن صحيفته أنقذت إليه وأركته. ويقول إنه يقدم من المكارم أعمال يجزع من الإقدام عليها.

وقوله يمدح فيه بلال بن أبي بردة:

«فَكَـم مِـن عَـدُويا بِـلالُ خَسَـأتَهُ فَأَغضَـت لَـهُ عَـينٌ عَلـى مـا يَريبُهـا

رَأَيــــتُ بِـــــلالاً يَشـــتَري بِـــتِلادِهِ مَكـــارِمَ أَخـــلاقٍ عِظـــامٍ رَغيبُهـــا»[٨٠]

خسأته: أذلته. يقول: إنه يذل أعداءه، ويدع عيونهم تغضي على هوانها.. التلاد: المجد والمال القديمان. العكوب: الغبار الكثيف المظلم في القتال. يقول إن نهار القتال منعقد غباره بمثل الظلام الذي تبدوفيه الجوزاء. وقال في الزعل بن عروة الجرمي:

حَمَّلــتُ مِــن جَــرمٍ مَثاقيــلَ حــاجَتي كَــريمَ المُحَيّــا مُشــنَقاً بِــالعَلائِقِ»[٨١]

يقول في مدح الزعل بن عروة الجرمي إنه حمل حاجاته امرأ من جرم ويردف بأنه كريم، طلق الوجه وأنه يستقل بالعلائق أي دفع الديات وكأنه يشنق نفسه بالتعهد بها ولا يعود إليه نفَسُه إلا بعد أن يبوء بها ويؤديها. وقال يمدح عمر بن عبد العزيز وهو بمكة:

«وَقَــومٌ أَبــوهُم غالِــبٌ أَنــا مــالُهُم وَعــامٌ تَمَشّــى بِــالفِراءِ أَرامِلُــه»[٨٢]

يقول إنه يعيل قوماً كان يعينهم غالب والده الكريم، ولكنه مرَّ به عالم بارد كانت تلتحف فيه النساء بالفراء وهن أرامل.

١. نتائج البحث

بعد البحث والتحري في قصائد الشاعر الفرزدق بغية الكشف عن سمات ودلالات الكرم في أشعاره، ومن خلال مراجعة الشروح والمصادر القديمة حول أدب الشاعرين، ونظراً للأسئلة المطروحة ومن خلال المنهج الوصفي والتحليلي وصلنا إلى النتائج التالية:

١. كانت لدى الشاعر مهارة خاصة في توظيف مفردة الكرم ومشتقاته كالكريم، والمكارم والأكارم، مع التوسع في دالاتها في النص الشعري لبيان المفاخرة وبيان محامد قومه، وكذلك تعرية المهجو من هذه الصفة الأخلاقة.

٢. وظف الشاعر مفردات توحي بالكرم وهي ذات دلالات معنوية كالعطاء والجود والبذل والخير، ومنها مفردات و عبارات ذات دلالات حسية كالبحر والنهر والفرات، والغيث والغيوم الممطرة ولكنها وُظفت من أجل التشبيه لبيان دلالات ذهنية تدل على الكرم والجود.

٣. أيضاً تجلّت سمات الكرم في أشعار الفرزدق في تعابير كنائية في مجال نار القرى ليلاً لهداية الضيف والضال واستتباح الكلاب لاستدعاء الضيف، والجود والعطاء والشجاعة والدفاع عن الجار مع الفارق في التعبير، وأيضاً توظيف أسلوب التشبيه لبيان مظاهاة الشخص الكريم بالنهر والفرات والمزن.

٤. وجدنا في أشعار الشاعر ألفاظاً توحي بالعطاء والكرم منها دلالات لغوية كالكرم ومشتقاته، ومنها معنوية كالبذل والعطاء والجود وبذل المعروف، والحسب الرفيع، ومنها دلالات ضمنية وكنائية، كالبحر والفرات، والغيم الممطر، والغيث، واستتباح الكلاب، وإيقاد النار ليلاً، ونحر

النوق السمان، فقد كانت كانت تتسم تلك التراكيب في النص الشعري بحقلها الدلالي، وعلاقتها مع الألفاظ الأخرى المكملة لمعناها إما في مجال الفخر و إما في مجال التعيير.

٥. وكان من أهم مظاهر الكرم لدى الشاعر هو القيم الاجتماعية الدارجة آنذاك، وقد تمثلت في الجود والعطاء وبذل المعروف وإعطاء المحتاجين، وبذل الطعام وقت الفاقة والجدب.

٦. وظف الشاعر ألفاظ و تراكيب كنائية مأخوذة من واقع الحياة تدل على الكرم والندى والعطاء والجود والفضل والنعم والخير والبذل و كذلك مالا يحصى من الكنايات والعبارات التي ترافقها في الأشعار، منها حفظ الذمار و العهود و حفظ الجوار وبيان مناقب المتوفى وبيان مناقب الممدوح.

٧. من أهم دلالات الكرم لدى الشاعر هي الفخر بنفسه وبقومه وبيان المناقب لذويه والممدوحين وبيان مثالب الخصم في مجال الهجاء والتعيير.

الهوامش

١. (زرزور، ٢٠٠١، ١٣٩).
٢. (المصدر نفسه، ١٧٤).
٣. (محمدعياد، ١٩٩٢، ١٢١).
٤. (الفاخوري، ١٩٩٨: ١، ٤٨٠).
٥. (الاصفهاني، ١٩٩٨: ٢١، ٤٠).
٦. (المصدر نفسه، ٢١، ص ٤٠).
٧. (الزمخشري، ١٩٩٨: ١، ٣٥٤).
٨. (البخاري، ١٤١٤، الحديث: ١٥٠٢).
٩. (معلوف، ١٩٩٤، ٩٨٨).
١٠. (عبدالخالق، ٢٠٠١، ص ٢٨).
١١. (علي و فاضل، (د. ت) ١١).
١٢. (الإسراء: ٢٩).
١٣. (الليل: ٥-١٠).
٢٨. (الفرزدق، الديوان: ٢، ١٧١)
٢٩. (الفرزدق، الديوان: ٢، ١٢٣)
٣٠. (الأبشيهي، ١٤١٩، ١٨٤).
٣١. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٦٣٦)
٣٢. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٦٣٦)
٣٣. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٦٣٦)
٣٤. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٦٣٦)
٣٥. (الأبشيهي، ١٤١٩، ١، ١٧١).
٣٦. (الفرزدق، الديوان: ١، ٣٧٧).
٣٧. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٧١)
٣٨. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٧١)
٣٩. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٧١)
٤٠. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٧١)
٤١. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٧١)
٤٢. (الفرزدق، الديوان: ٢، ١٢٠)
٤٣. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٦٥٠)
٤٤. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٦٥٠)
٤٥. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٦٥٠)
٤٦. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٦٥٢).
٥٥. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٩١)
٥٦. (الفرزدق، الديوان: ١، ٥٣٧)
٥٧. (الفرزدق، الديوان: ١، ٥٣٧)
٥٨. (البقرة: ٢١٩)
٥٩. (البقرة: ١١٥).
٦٠. (الفرزدق، الديوان: ٢، ١٨١)
٦١. (الفرزدق، الديوان: ١، ٤٦٣)
٦٢. (الفرزدق، الديوان: ١، ٤٩٤)
٦٣. (الفرزدق، الديوان: ١، ٥٠٩)
٦٤. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٢٠٩)
٦٥. (الفرزدق، الديوان: ١، ٢٣٩)
٦٦. (الفرزدق، الديوان: ١، ٢٤٧)
٦٧. (الحموي، ١٩٩٧: ١، ٤٧٩)
٦٨. (الفرزدق، الديوان: ١، ٣٨١)
٦٩. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٢٢٢)
٧٠. (الفرزدق، الديوان: ١، ٢٢٤)
٧١. (الفرزدق، الديوان: ١، ٢٥٣)
٧٢. (الفرزدق، الديوان: ١، صص ٢٨٢-٢٨٣)
٧٣. (الفرزدق، البيوان:١، ٢٩٢)

١٤. (الكليني، ١٤١٢: ٦، ٢٨٥؛ الطريحي، ١٤١٤: ٢ ١٢٦٤).
١٥. (حرّ العاملي: ٢٤، ٣١٨)
١٦. (الكليني، ١٤١٢: ٦، ٢٨٥، ح٣، والخلال: عود يستخرج به ما بين الاسنان من بقايا الطعام).
١٧. (حلبي، ١٩٨٨، ١٢).
١٨. (الأبشيهي، ١٤١٩، ١٨٤).
١٩. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٣٧٧).
٢٠. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٦٥١).
٢١. (الفرزدق، الديوان: ٢، ١٥٦)
٢٢. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٦٥١).
٢٣. (الفرزدق، الديوان: ١، ٣٧٧).
٢٤. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٦٥١)
٢٥. (ابن كثير، ١٤١٢: ٨، ٢٧).
٢٦. (البرقوقي، ١٩٩٠، ٤٢٦)
٢٧. (الفرزدق، الديوان: ج١، ٥٢)
٤٧. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٣١١)
٤٨. (الفرزدق، الديوان: ١، ٥١)
٤٩. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٧١)
٥٠. (الفرزدق، الديوان: ١، ٣٧٧)
٥١. (الفرزدق، الديوان: ١، ٤٩٥)
٥٢. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٣٧٧)
٥٣. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٣٨٠)
٥٤. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٢٨٨٤)
٧٤. (الفرزدق، الديوان: ٢، ٣٥٣)
٧٥. (الفرزدق، الديوان: ٢، ١٠٤)
٧٦. (الفرزدق، الديوان: ١، ٦٢)
٧٧. (الفرزدق، الديوان: ١، ٦٢)
٧٨. (الفرزدق، الديوان: ١، ٧٥)
٧٩. (الفرزدق، الديوان: ١، ١١٧)
٨٠. (الفرزدق، الديوان: ١، ١١٧)
٨١. (الفرزدق، الديوان: ٢، ١٥٧)
٨٢. (الفرزدق، الديوان: ٢، ١٩٩)

مصادر البحث:

القرآن الكريم

١. ابن كثير، اسماعيل بن عمر. (١٤١٢هـ). البداية والنهاية. القاهرة: مكتبة السعادة.
٢.ابن منظور، محمد بن مكرم. (٢٠٠٣م). لسان العرب. بيروت: دار العلم للملايين.
٣. الأبشيهي. (١٤١٩ق). المستطرف في كل فن مستظرف، بيروت: عالم الكتب.
٤.الأصفهاني، أبوالفرج علي بن الحسين. (١٩٩٨م). الأغاني. بيروت: دار احياء التراث العربى.
٥. البخاري، محمد بن اسماعيل. (١٤١٤هـ). صحيح الأدب المفرد. المحقق: الألباني، السعوية. بغداد: مكتبة الدليل.
٦. البرقوقي، عبدالرحمن. (١٩٩٠م). شرح ديوان حسان بن ثابت. بيروت: دار الكتاب العربي.
٧.الجاحظ، عمروبن بحر. (١٩٧٥م). البيان والتبيين. تحقيق: عبدالسلام محمد هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي.

٨.الجوهري، اسماعيل بن حماد. (١٩٩٨م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. بيروت: دار العلم.
٩.حر العاملي، محمدبنحسن. (١٤٢٤ق). وسائل الشيعة، قم: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم.
١٠. حلبي، سمير حسن. (١٩٨٨م). الكرم والجود وسخاء النفوس. السويس: دار الصحابة للتراث.
١١. الحموي، ياقوت ياقوت بن عبد الله. (١٩٩٧م). معجم البلدان. بيروت: دارصادر.
١٢.الزبيدي، محمدمرتضي. (١٩٦٥م). تاج العروس من جواهر القاموس. بيروت: دار الهدايه.
١٣.زرزور، نوال كريم. (٢٠٠١م). معجم الألفاظ القيم الأخلاقية وتطورها الدلالي. بيروت: مكتبة لبنان للناشرون.
١٤.الزمخشري، محمود بن عمر. (١٩٩٨م). أساس البلاغة. بيروت: دار الكتب العلمية.
١٥.شهاب الدين، الأبشيهي. (١٩٩٩م). المستطرف فى كل فن مستطرف. بيروت: عالم الكتب.
١٦.ضيف، شوقي. (١٩٩٣م). الفن ومذاهبه في الشعر العربي. القاهرة: دار المعارف.
١٧. الطريحي، فخرالدين بن محمدعلي. (١٤١٤هـ). مجمع البحرين. قم: بنياد بعثت.
١٨. عبدالخالق، أحمد محمد. (٢٠٠١م). الأبعاد الأساسية للشخصية. بيروت: دار المعرفة الجامعية.
١٩.علي، حسن، وحيدر فاضل. (د.ت). سمات الشخصية لذوي التفكير الخرافي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد،.
٢٠.الفاخوري، حنا. (١٩٩٨م). الجامع في تاريخ الأدب العربي. بيربوت: دار الجيل.
٢١.الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (١٤١٤هـ). العين. القاهرة: دار العلوم
٢٢.الفرزدق، همام بن غالب. (١٩٨٤م). الديوان. بيروت: دار الكتاب العربى.
٢٣.فرّوخ، عمر. (١٩٩٨م). تاريخ الأدب العربي. بيروت: العلم للملايين.
٢٤. الكليني، محمد بن يعقوب. (١٤١١هـ). الكافى. بيروت: دار التعارف للمطبوعات.
٢٥. محمدعياد، شكري. (١٩٩٢م). مدخل إلى علم الأسلوب. القاهرة: مكتبة ملارك العامة
٢٦.معلوف، لويس. (١٩٩٤م). المنجد في اللغة. بيروت: دار المشرق.

References:

The Holy Quran

1. Ibn Kathir, Ismail bin Omar. (1412 AH). The beginning and the end. Cairo: Al-Saada Library.

2. Ibn Manzur, Muhammad bin Makram. (2003AD). Arabes Tong. Beirut: House of Knowledge for Millions.
3. Al-Abshihi. (1419 BC). The extreme in every art, Mustazraf, Beirut: Alam al-Kutub.
4. Al-Isfahani, Abu Al-Faraj Ali bin Al-Hussein. (1998AD). Songs. Beirut: Arab Heritage Revival House.
5. Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail. (1414 AH). True singular literature. Investigator: Al-Albani, Al-Sawiyah. Baghdad: Al-Dalil Library.
6. Al-Barqoqi, Abdul Rahman. (1990AD). Explanation of the Diwan of Hassan bin Thabit. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.
7. Al-Jahiz, Amr ibn Bahr. (1975 AD). Statement and clarification. Investigation: Abdul Salam Muhammad Haroun. Cairo: Al-Khanji Library.
8. Al-Jawhari, Ismail bin Hammad. (1998AD). Asahah crown Arabic language and sanitation. Beirut: Dar Al-Ilm.
9. Hur Al-Amili, Muhammad bin Hassan. (1424 BC). Shiite means, Qom: The group of teachers in the seminary in Qom.
10. Halabi, Samir Hassan. (1988AD). Generosity, generosity and generosity of souls. Suez: Dar Al-Sahaba for Heritage.
11. Al-Hamwi, Yaqut Yaqut bin Abdullah. (1997AD). Dictionary of countries. Beirut: Dar Sader.
12. Al-Zubaidi, Muhammad Mortada. (1965 AD). The bride's crown is one of the jewels of the dictionary. Beirut: Dar Al-Hidaya.
13. Zarzour, Nawal Karim. (2001AD). A dictionary of moral values and their semantic development. Beirut: Lebanon Publishers Library.
14. Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar. (1998AD). The basis of rhetoric. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
15. Shihab Al-Din, Al-Abshihi. (1999AD). The extreme in every art is the extreme. Beirut: World of Books.
16. Dhaif, Shawqi. (1993AD). Art and its doctrines in Arabic poetry. Cairo: Dar Al-Maaref.
17. Al-Tarihi, Fakhr al-Din bin Muhammad Ali. (1414 AH). Bahrain Complex. Qom: Bonyad sent.
18. Abdul Khaleq, Ahmed Muhammad. (2001AD). Basic dimensions of personality. Beirut: Dar Al-Ma'rifa University.
19. Ali, Hassan, and Haider Fadel. (d.t.). Personality traits of people with superstitious thinking, Master's thesis, University of Baghdad.
20. Al-Fakhoury, Hanna. (1998AD). The mosque in the history of Arabic literature. Birbut: Dar Al-Jil.
21. Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmed. (1414 AH). The eye. Cairo: Dar Al-Ulum
22. Al-Farazdaq, Hammam bin Ghalib. (1984AD). The Diwan. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi.
23. Farroukh, Omar. (1998AD). History of Arabic Literature. Beirut: Science for millions.
24. Al-Kulayni, Muhammad bin Yaqoub. (1411 AH). Enough. Beirut: Dar Al-Ta'arif for Publications.
25. Muhammad Ayyad, Shukri. (1992AD). Introduction to stylistics. Cairo: Malak Public Library
26. Maalouf, Louis. (1994AD).